"مفهوم التربية الإسلامية ودورها في ترقية الفرد والمجتمع"*

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمّد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار، وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من مقتضيات الإسلام كدين سماوي، أن يصوغ مشروعا حضاريا إنسانيا يشمل مختلف نشاطات الإنسان، وتحقيق الحل الشامل لمشكلات المجتمعات المعاصرة، ويضمن لها الأمن والطمأنينة، غير أننا لا نستطيع أن نتحدّث عن مشروع حضاري إلا في ظل نظام تربوي حقيقي وشامل، مداره على التربية الإسلامية، يلتزم بالضوابط الشرعية والأخلاقية الإسلامية، وينهض بهذه الأمة إلى ما ينبغي أن تكون عليه من مثل عليا في جميع المجالات الحيوية، في إطار الرؤية الشاملة لمقاصد الشريعة الإسلامية، في ضوء قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾ الرعد–11.

ولا شك أن العولمة وماتحمله من معان، هوإختيار "الأقوياء"، وليس بوسع الضعفاء مراجعته، فضلا عن الوقوف في وجهه، فالشعوب الضعيفة تعيش الأحداث وتتأثر بها ولا تصنعها، عموما فإن رغبة الضعيف لا يعبأ بها القوي، كما أن إرادته لا تكون في مستوى تغيير أي شيء من الواقع في صالحه.

وعلى الأمة الإسلامية، أفرادا وقبائل وشعوبا، أن تعي وعيا تاما، أنها أمة متميزة عن باقي الأمم، بحضارة متميزة، حضارة صنعها الدين الإسلامي الذي تدين به وتعتز بحمل رسالته، وهومصدر أساسي تستمد منه قوتها، وإذا أضفنا إلى هذا الدين الحنيف مما تحضى به أمتنا: كالموقع الجغرافي والطاقة البشرية والثروات الطبيعية والرصيد التاريخي، نستطيع القول أن الأمة الإسلامية في وضعية تسمح لها ولا يمكن أن يتحقق هذا إلاّ في ظلّ نظام تربوي حقيقي، يستمد أصوله وأسسه من مقاصد الشريعة الإسلامية، ويشمل جميع المجالات الحيوية التي تخصّ العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات، فيكون بمثابة الحصن الحصين لهذه الأمة لمواجهة طوارئ المستقبل القريب والبعيد.

ولا يختلف إثنان، في أن التربية تشكل محور النشاطات الفكرية والأيديولوجية، ومفهومها يختلف من حيث مضمونها ومصادرها وخصائصها ومقاصدها باختلاف المجتمعات.

وفي العصر الحالي، عصر الثورة الإتصالية والمعلوماتية والأيديولوجية المتصارعة، صارت التربية هدفا ومحورا في آن واحد لعملية التنافس والصراع، من أجل بسط الهيمنة الشاملة على الشعوب، وفرض نظام

---

*-د.عبد القادر سليماني– قسم العلوم الإسلامية– كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية– ج. وهران.

باستيعاب العولمة، وتسخيرها في الإتجاه الذي يحقق أهدافها المشروعة.

معين، وقد استخدمت كافة الإمكانات المتاحة من نتاج الحضارة الحديثة في محاولة نشر مفهوم معين للتربية، وإعادة تشكيله في المجتمعات المستهدفة، وكانت المجتمعات الإسلامية هي أكبر المجتمعات خضوعا لهذه المحاولات المستمرة.

وجدير وطبيعي جدّا، أن تحتل قضية " التربية الإسلامية " قلب المنظومة الوطنية لكل شعب من الشعوب العربية والإسلامية، وذلك بهدف التصدي لما يأتي به نظام العولمة من تحديات بما له من مساس بمظاهر التميز والخصوصية للعالم العربي الإسلامي.

والهدف من هذا البحث المتواضع هوتقديم مفهوم " للتربية الإسلامية "، واتجاهاتها على المستوى الفردي، بأبعادها الثلاثة: التربية الروحية والعقلية والبدنية، وأما على المستوى الجماعي فتتجلى حقيقتها في الروابط والعلاقات بين الأفراد بعضهم ببعض وبين الجماعات التي يتكون منها المجتمع الكبير، قال الله تعالى: ﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ الحجرات– 13.

المبحث الأول: معنى التربية وأهميتها:

أولا: معنى التربية:

إن للتربية معنى لغوي وآخر اصطلاحي، وهناك ارتباط وثيق بين كل من المعنيين، يتضح جيدا بعد إستعراضهما فيما يلي:

1– تعريف التربية لغة: التربية في اللغة معناها الزيادة، مأخوذة من الفعل " ربا "، أي زاد ونشأ.

قال في الصحاح:" ربّيته تربية أي غذوته، هذا لكل ما ينمي كالولد والزرع وغيره"[1]، وقال في اللسان: "ربّ ولده والصبي يربّه وربّبه تربيبا وتربة بمعنى: ربّاه"[2].

وفي الحديث: " ألك نعمة تربّها "[3]، أي تحظها وتراعيها وتربيها كما يربي الرجل ولده، وهذا يعني أنها مشتقة من الفعل ربّ يربّ بدون ألف، وهواشتقاق ثان لهذه الكلمة على الإشتقاق الأول من الفعل ربا يربو.

وبالتالي فالتربية في اللغة هي الحفظ، والرعاية، والتنشئة، ومتابعة الأبناء، وتوفير ما يحتاجون إليه من طعام، ولباس وغيرها، وسمي الربيب أوالربيبة بهذا الإسم، وهوابن الزوجة أوإبنتها، لأنه ينشأ ويترعرع في حجر زوج أمها، قال الله تعالى: "وربائبكم اللتي في حجوركم".النساء، 23، قال القرطبي:" سميت بذلك لأنه يربيها في حجره فهي مربوبة "[4].

2– تعريف التربية إصطلاحا: دأب العلماء والفلاسفة والتربويون قديما وحديثا في تعريف التربية وبيان معناها، غير أن هذه التعاريف كانت متفاوتة ونسبية، فظنّها البعض للصغار دون الكبار، وظنّها البعض التهيئة العلمية أوالذهنية، وظنّها البعض الآخر التنمية

البدنية، إلى غير ذلك من الأمور، والتربية عموما، نعني بها: "إعداد الفرد البشري، وتشكيله منذ ميلاده، في ضوء عدة معايير، تحددها الجماعة القائمة على أمر التربية، والتي ينتمي إليها الفرد، بهدف تحديد معالم شخصية، وفقا لمنهج معين، يتفق وفلسفة هذه الجماعة، من أجل تحقيق أهدافها الحياتية "[5].

فقد عرفتها اللجنة العالمية المكلفة بوضع استراتيجية للتربية بأنها:" العمل المنسق، المقصود الهادف إلى نقل المعرفة، وخلق القابليات، وتكوين الإنسان، والسعي به في طريق الكمال، من جميع النواحي، وعلى مدى الحياة ".

كما عرفتها اللجنة العربية المكلفة بوضع استراتيجية لتطوير التربية في البلاد العربية بأنها:" عملية إنسانية سلوكية اجتماعية حضارية، تتألف في جوهرها من التعليم القائم أصلا على الجهود الذاتية للمتعلم، المتجلية في تشكيل سلوكه المؤدي إلى تطوير شخصيته، وبالتالي إلى مساهمته في تقدم مجتمعه، وتمكنه من المساهمة في بناء الحضارة الإنسانية، وبهذه الصورة فهي عملية سلوكية واجتماعية، غايتها القصوى خير الإنسان، وخير المجتمع، وخير الإنسانية جمعاء ".

وهذه تعريفات لبعض الفلاسفة: عرفها أفلاطون (346–427 ق.م) بأنها:"إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال والكمال"، وهذا التعريف مع ما فيه من شمول فهوغير محدد لمعنى التربية ووظيفتها، وعرفها أرسطو(322–384 ق.م) بأنه:" إعداد العقل لكسب العلم كما تعد الأرض للنبات والزرع"، فهويركز على التربية العلمية ويهمل ما عداها، وعرفها الشاعر الإنجليزي جون ملتون (1608–1674م) بأنها:" هي التي تجعل الإنسان صالحا لأداء أي عمل كان أوخاصا بدقة وأمانة ومهارة في السلم والحرب"، وحدد الفيلسوف الألماني كانط (1724–1804م) الغرض الأساسي من التربية:" الوصول بالإنسان إلى الكمال المطلق"، وعرفها المربي السويسري يوحنا هونري (1746–1827م) بأنها:" تنمية كل قوى الطفل تنمية كاملة متلائمة"، وعرفها الفيلسوف الأمريكي جون ديوي (1859–1952م) تعريفا شاملا وجامعا تناقله الكتاب من بعده بأنها:" الحياة نفسها وليست مجرد إعداد للحياة وأنها عملية نموعملية تعلم وعملية إجتماعية ".

ذكر هذه التعريفات الدكتور عمر الشيباني، ثم عرف التربية بأنها:" عملية نموزدوج، لكل من الفرد والمجتمع، ترمي إلى التنمية الشاملة لكل من الفرد والمجتمع، وإلى مساعدة الفرد

بالذات على تحقيق التعليم، والتعبير المرغوب في سلوكه، وعلى بناء خبراته، وتجديدها وتعميقها وتوجيه اللحق منها "[6].

أما النظرية التربوية، في المفهوم الإسلامي، فهي:" مجموعة من التصورات والمفاهيم والأفكار والقيم، ذات الحد الأقصى من التجريد والعمومية، المرتبطة بإعداد الإنسان المسلم حسب الأصول الإسلامية، والتي في ضوئها يمكن تفسير العمليات التربوية الإسلامية وتبريرها وتقويمها، المنبثقة من إ سمها ومناهجها وأساليب ووسائل تحقيقها، وتنفيذها "[7].

من هنا نرى أن لكل مجتمع فلسفة اجتماعية، تنبثق منه عن طريق الباحثين والمفكرين وأهل الخبرة، فلسفة تربوية تحدد وجهة التعليم الذي يقود بدوره المجتمع المعني إلى التقدم، لأن التعليم هوأساس تقدم المجتمع وتطوره، إذا كان نابعا من واقع ذلك المجتمع، ومتوافقا مع ثقافته وغير مستورد من خارجه.

والمفروض أن يكون النظام التعليمي منعكسا عن النظرية التربوية في المجتمع من حيث الإتجاهات والأهداف والوسائل والأنشطة، وعليه فإن التعليم في المجتمعات الإسلامية يفترض أن يكون إنعكاسا لنظرية التربية الإسلامية من حيث أهدافه ومحتوياته وأساليبه، فالنظام التعليمي ديناميكي دائم التغير والتجدد ولكنه يظل مرتبطا دائما بالنظرية التربوية التي قام عليها.

فمهمة التربية الإسلامية هي إعداد الإنسان المسلم للحياة الدنيا والأخرة إعدادا كاملا، من النواحي الإعتقادية والأخلاقية والإجتماعية ...في جميع مراحل نموه، في ضوء المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام، وفي ضوء أساليب التربية وطرق التي بينها هذا الدين الحنيف".

ثانيا: أهمية التربية لدى الأمم: استهل استدلالي على إدراك ما للتربية من أهمية لدى الأمم الحريصة على مصالحها ومواطنيها، بالإستشهاد ببعض الأقوال في مناسبات حرجة: عندما انتصرت ألمانيا في الحرب السبعينية، قال أحد الألمان:" لقد انتصر معلم المدرسة"[8].

وعندما انهزمت فرنسا أمام ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، قال أحد الفرنسيين:" إن التربية الفرنسية متخلفة "[9]،

وعندما سبق الروس الأمريكان في غزوالفضاء بإطلاق صاروخهم سبوتني الأول، قال أحد الأمريكيين:" ماذا دهى نظامنا التربوي والتعليمي"[10].

وعندما انتصر الصهاينة في حربهم مع العرب عام 1967م، علقت مجلة التايمز الأمريكية في عدد يوليو1967م على ذلك تحت عنوان:" سقوط ثقافة وحضارة "، " لقد سقطت الحضارة الإسلامية بانتصارنا على العرب "[11]. وأما بالنسبة للعرب، فإنهم قد عاشوا قبل نعمة الإسلام، قرونا عديدة، جماعات متفرقة متعادية في صحاري وبوادي شبه الجزيرة العربية، وبعض حواضرها والحواضر القريبة منها، ولم تكن لهم أية قيمة لدى الأمم المجاورة الكبرى من روم وفرس، ولكن حالهم انقلب رأسا على عقب خلال عقدين من الزمان، بسبب الرسالة والقيادة المحمدية، حيث ربّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتربية إسلامية القائمة على التعاون والتكاتف وحسن الخلق والحرية والصدق والمساواة بين الناس، ففهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرّسول إذا دعاكم لما يحييكم" الأنفال، 24، أن الحياة الحقيقية لا تكمن إلا في الإستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

وانطلاقا من هذه التربية، انتشر الإسلام سريعا، وعمّ معظم أنحاء الجزيرة، ووصلت دعوته القائمة على شمولية الدين وعموميته إلى فارس والروم، وإلى قبط مصر وعرب الشام، وذلك قبل وفاته صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: اتجاهات التربية الإسلامية: إن للإسلام نظرة خاصة ومستقلة للإنسان، تختلف عن غيرها اختلافا أساسا، فنظرة الإسلام في تكاملها وتناسقها وشمولها لكل جوانب النفس البشرية، وكل جوانب الحياة، غير مسبوقة من الوجهة التاريخية، وما تزال حتى اليوم بعد كل ما ظهر من النظريات، تنفرد وحدها بالشمول والعمق والإتزان.

وأهم ما يتميز به الإسلام أنه يأخذ الكائن البشري على ما هوعليه، تبعا لخصائصه الإنسانية وطبائعه وغرائزه، صراحة وضمنا، وأن كيانه قد جمع لعناصر وخصائص أساسية، هي الجسم والعقل والروح، فاعتنى بهذه الأبعاد الثلاث، وقدر أهمية كل واحد منها، فأعطى لكل ذي حق حقه[12].

فاعتنت التربية الإسلامية بجميع هذه النواحي: الروحية والنفسية، والعقلية، والجسمية، كما اعتنت بالأبعاد التشريعية والإجتماعية والإقتصادية، وغيرها من المجالات الحيوية، كما اهتمت بالأبعاد الزمنية والمكانية، أعني بالبعد الزمني: أنها اعتنت بالمولود منذ الحمل والولادة صحيا ورعاية وحماية حتى وفاته، بالبعد المكاني: المؤسسات التربوية والتعليمية الهادفة أوما

يسمى بالرسمية والنظامية، والبيئات غير النظامية كالأسرة والحي والمجتمع، فالتربية مسؤولية الوالدين والمجتمع والدولة.

وهذه بعض المفاهيم للأبعاد الثلاثة التي ذكرناها آنفا:

أولا: التربية الروحية والنفسية: إن التربية الروحية هي أسمى هدف نزل من أجله القرآن الكريم، أي أنه جاء لتربية البشر وهدايتهم، قال الله تعالى: "يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه" المائدة– 16، وقال الله تعالى: "قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين" الأنعام –161.

فالتربية الروحية تبني المسلم روحيا، فتقوده إلى الطريق المستقيم وتمنعه من الإنحراف، فيحافظ المسلم على دينه فيصل بذلك إلى مرضات الله عز وجل، وهذه هي الغاية التي يسعى إليها المسلم، والتي لا تساويها الدنيا وما عليها، لأنها المطلوبة منه، قال الله تعالى:"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون". الذاريات– 56، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن التربية هي التي تحفظ للمسلم دينه وفطرته في قوله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أوينصرانه أويمجسانه".[13]، وعمل الوالدين في هذا المجال هوالتربية بكل أبعادها، والحديث فيه دلالة على أن قبضة التربية على الإنسان قوية، من الصعب أن يفلت منها لدرجة أنها تغير فطرته التي فطره الله عليها.

أما من الناحية النفسية: فالتربية الإسلامية تمنح المسلم الطمأنينة، وتبعث في نفسه السكينة التي تقوده إلى السعادة، وتربّي فيه حبّ الخير للآخرين، والتعاون معهم، والإحساس بآلامهم ومشاكلهم، مشاركتهم في سرّائهم وضرّائهم.

وقد اتخذ القرآن خطوات لتعميق التربية الروحية، منها:

1–عقد الصلة بين الإنسان وربه، وذلك بترسيخ عقيدة التوحيد في النفوس بعبادة الله وحده، والاعتراف بعبوديته وألوهيته، وعدم الإشراك به في العبادة، والحب والرجاء والدعاء، قال الله تعالى: "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا". النساء، 36، وقال عز وجل: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها". الأعراف، 180، وغير ذلك من الآيات.

2-الإهتمام بالعبادات التي تغذي الروح، وتزيد الإيمان في النفوس، وعلى رأسها الأركان الأربعة:

الصلاة: بجميع أنواعها، المكتوبة وغيرها، لقوله تعالى: "إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا". النساء- 103، وقوله تعالى: "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى". البقرة- 238، ولم يسمح لأحد أن يترك الصلاة مهما كان مركزه في مجتمعه، أوظروفه الصحية، غير أنه تمشيا مع مبدأ التيسير خفّف عنهم طريقة الأداء في المرض والسفر، والصوم: وقد ركّز عليه القرآن، لأنه عامل عظيم لتهذيب النفس، وتذكيرها بحقيقتها وغايتها، قال الله تعالى: "كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون". البقرة- 183.

والحج: أيضا لأنه يشعر بتعظيم الله عند زيارة الكعبة الشريفة، زادها الله شرفا وتعظيما، وبالتساوي مع المسلمين، قال الله تعالى: "وأتموا الحج والعمرة للّه" البقرة- 196.

والزكاة: لأن فعلها كبح لشهوة التملك المغروزة في النفس الإنسانية، وتطهير المال الذي وهبه الله للمسلم، وسيلة لنيل مغفرة الله تعالى.

ومن ذلك تلاوة القرآن الكريم وسماعه، وذكر الله سبحانه وتعالى على كل حال.

3-الدعوة إلى فعل الخير: لقوله تعالى: "وافعلوا الخير لعلّكم تفلحون". الحج- 77، وقوله عز وجلّ: "فاستبقوا الخيرا". البقرة- 148.

وما من فضيلة إلا دعا القرآن للتمسك بها، وما من رذيلة إلا دعا إلى الإبتعاد عنها، فقد أمر بأداء الأمانة والصدق والوفاء بالعهد والإحسان إلى الجار والناس عموما، وبر الوالدين والرحمة بالأبناء وصلة الرحم، والنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الدالّة على ذلك كثيرة، هذا فيما يتعلق بالتربية الروحية والنفسية.

ثانيا: التربية العقلية: لا يوجد كتاب عبر التاريخ سماويا كان أوأرضيا، كرّم العقل ورفع من شأنه كالقرآن الكريم، الذي اهتم بالتربية العقلية اهتماما كبيرا ويتجلّى ذلك فيما يلي:

1-الإهتمام بالعلم وجعله فرضا على المسلمين: ويكفي أن نعلم أن أول كلمة نزلت من السماء على قلب النبي صلى الله عليه وسلم هي قوله تعالى: "إ قرأ". العلق، 1، وقد مدح الله تعالى العلماء وذكر أنهم أكثر الناس إيمانا ويقينا فقال تعالى: "والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلّ من عند ربّنا". آل عمران- 7، وقوله عز وجلّ: "إنما يخشى الله من عباده العلماء" فاطر، 28، وقوله تعالى: "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات". المجادلة-

11، وقوله صلى الله عليه وسلم: "لا حسد إلا في اثنين: رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها".[14]، وقال أيضا: "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة"[15].

2-الأمر بتعليم الناس وتفقيههم: قال الله تعالى: "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون". البقرة- 159، وقوله عز وجل: "فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون". التوبة-122، هذه الآيات وغيرها أمرت بنشر العلم وذمت كتمانه.

3-ذم الجهل والجاهلين: كما أن القرآن حث على العلم ومدح العلماء، فقد ذم الجهل والجهلة، وقرع آذانهم بكثير من الآيات، قال الله تعالى: "خذ العفووأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" الأعراف- 199، ومعناه كما قال القرطبي:" الحرص على التعلق بالعلم والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة والأغبياء..."[16].

وقد كرّم القرآن حواس الإنسان وأدوات الكتابة ووسائلها، ودعى للتبحّر في جميع العلوم، علم اللغات، وعلم الفرائض أوالميراث، وعلم التشريح والطب، وعلم الجغرافيا والجيولوجيا والفلك، وعلم التاريخ، وعلم النبات، وعلم البحار، وعلم الجيوش والجندية، وعلم الصناعة المختلفة، علم الحكم والسياسة، وما إلى ذلك من العلوم النافعة.

فالتربية العقلية تعود على الإنسان بالنفع عقليا، حيث يستطيع عن طريقها اكتشاف مواهبه وقدراته واستعداداته العقلية، وذلك بالتدريبات والتمرينات، كما يكتسب عن طريقها المعارف والثقافات المختلفة التي تعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع ماديا ومعنويا.

المبحث الثالث: التربية البدنية: اهتم الإسلام اهتماما بالغا ببدن الإنسان وصحته، ولا عجب في ذلك فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان لعبادته وهذه العبادة لا تتأتى إلا في حالات القوة والنشاط، وانطلاقا مما للتربية البدنية من أهمية، فقد أمر الإسلام:

بإعداد القوة للجهاد، في قوله تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ورباط الخيل ...". الأنفال، 60، والقوة هنا ظاهرها القوة الجسدية، وإن كانت تتضمن القوة الإيمانية والفكرية، وكلمة القوة تشمل أيضا العناية باللياقة البدنية وإتقان فنون القتال والتسلح بآلاته المختلفة، والمحافظة على الجسم بوقايته من الأمراض، والمبادرة إلى مداواته وعلاجه إذا دبّ إليه

المرض، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأفضل وأحب إلى الله عز وجل من المؤمن الضعيف، وفي كل خير ..." الحديث[17].

وقد أباح الإسلام ما يفي بحاجة الإنسان من طعام وشراب، واستثنى بعض المحرمات وهي قليلة مقارنة بالحلال وتتمثل في الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر وما شاكل ذلك، قال الله تعالى: "قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة". الأعراف، 32، وقال تعالى: "حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير". المائدة– 3، وقوله تعالى: "إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون" المائدة– 90.

كما أمر بالإقتصاد في الأكل والشرب وعدم الإسراف فيهما لأن ذلك يؤدي إلى المرض، فقال تعالى: "كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين". الأعراف– 31.

كما أنه شرع اللباس والسكن، وأمر بالتداوي والتمريض، وأباح الزواج، وكل هذا من أجل المحافظة على الإنسان وحمايته حماية تفي بحاجياته الحيوية.

المبحث الرابع: التربية الإجتماعية:

إن التربية الإجتماعية جانب من أهم جوانب التربية، وذلك لأن الإسلام لا ينظر إلى الفرد نظرة إنفرادية، وإنما ينظر إليه كجزء من المجتمع، فالإنسان مخلوق إجتماعي مدني لا يستطيع العيش بمعزل عن بني جنسه، وقد أشار الله تعالى إلى هذا، عندما ذكر أنه خلق عباده في درجات متفاوتة ليقوم كل واحد بوظيفة معينة داخل مجتمعه، فقال تعالى: "ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا". الزخرف– 32، أي ليسخر بعضهم بعضا في الأعمال لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا[18]، واهتماما بالتربية الإجتماعية، فقد وضع لها الإسلام أسسا منها:

أنه اهتم بالفرد باعتباره أول لبنة من لبنات المجتمع، وهذّب نفسه، وملأها بالمبادئ السامية التي تجعله دائما مستعدا للقيام بواجباته نحومجتمعه، وأوّل مجتمع صغير يتعامل معه هوالأسرة، ثم المدرسة...

ا–الأسرة: فالأسرة هي أول مدرسة يتربى فيها الإنسان، تتكون فيه شخصيته، فهي أول مؤسسات التطبيع الإجتماعي، فالإنسان يولد على الفطرة وبحسب ما يتفاعل معه من بيئة ويحيط به من محيط، يبدأ في اكتساب الإسم والصفة والدين واللغة والخلق والفعل والإنفعال

والمشاعر والوجدان والولاء والإرتباط والقيم والمثل والصدق والكذب والإستقامة والإنحراف...كل ذلك بدرجات مختلفة ونسب متفاوتة[19].

فالأصل إذن أن الإنسان يولد على الفطرة كما بين الخالق سبحانه وتعالى في قوله: "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله". الروح– 30، وكما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أويمجسانه"[20].

فالوسائط التربوية المختلفة هي التي توجه الفطرة، وتعد الأسرة في مقدمة هذه الوسائط، على أن تتوفر في البيت المسلم شروط أساسية:

– أن يفهم كل من فيه الإسلام فهما صحيحا خاليا من البدع والخرافات مدركا للأهداف والمقاصد.

–أن تسوده روح التدين الصافية والحرص على مراقبة الله عز وجل كالحرص على أداء الصلاة في أوقاتها وفي جماعة والتمسك بالفضيلة والأمانة والصدق والإخلاص.

–أن تقدم فيه المعلومات الدينية بأسلوب مناسب لإدراك الأطفال، يثير اهتمامهم ويحرك مشاعرهم، ويكون قائما على الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة والقدوة الصالحة.

كما يستطيع البيت المسلم أن يدفع من فيه إلى حماية الموارد، وزيادة الإنتاج، وتجويد العمل، والمحافظة على الوقت، وترشيد الإنفاق، وإنجاز الخطط، وتحمل الصعاب، ومغالبة التحديات، وحب العلم، والإهتمام بالتحصيل والمثابرة، وتقدير الجد والإجتهاد.

وبهذا يستطيع البيت أن يقوم بدوره التربوي الصحيح فيكون بذلك وسيلة مهمة من وسائل الوعي الإسلامي، فيغرس في نفوس أفراد الأسرة القيم الإسلامية الصحيحة، ويؤصل الوعي، ويربي الضمير وينمي الأخلاق ويوجه السلوك.

ولهذا نجد الإسلام قد حرص على البيت، وعلى الروابط الأسرية، وعلى العلاقات بين الآباء والأمهات والبنين والبنات والإخوة والأخوات والأزواج والزوجات وذوي القربى بمختلف الدرجات.

ب – المدرسة: والمدرسة كذلك وسيلة مهمة من وسائل التربية، ونقصد بالمدرسة كل مكان يتلقى فيه أبناء المسلمين العلم في أية مرحلة من مراحله، منذ الحضانة إلى المرحلة الجامعية في أعلى مستوياتها بالدراسات العليا.

والمدرسة تلعب دورا مهما في تربية الأجيال، وإعدادهم إعدادا صالحا أوغير صالح، على حسب نوع التعليم فيها، فإذا كان نوع التعليم فيها مصطبغا بالصبغة الإيمانية والخلقية والقيم المثلى يستهدف إعداد أجيال صالحة، كانت حقلا طيبا لإنبات جيل قوي، ويكون ذخرا لشعبه ووطنه وأمته، وإذا كان التعليم مصطبغا بالقيم الغريبة أوالمتنافية مع قيمنا الأصيلة، كانت المدرسة مكانا ينبعث منه الإضطراب الذي يؤدي إلى إعداد جيل فاسد بعيد عن جادة الصواب .

ولهذا تنبه أعداء الإسلام والمسلمين إلى أهمية المدرسة، وإلى دورها في إعداد الأجيال، فحاولوا علمنة التعليم، وللأسف الشديد، فإنهم نجحوا إلى حدّ كبير في صبغ التعليم بالصبغة العلمانية في كثير من المجتمعات الإسلامية.

ج- المسجد: ويعد أيضا المسجد وسيلة قوية وفعالة من وسائل التربية، لأنه المكان الذي تهوي إليه أفئدة المسلمين في مختلف ديارهم، ويأتي إليه الناس طائعين وتطمئن قلوبهم، وتستريح نفوسهم، وهم جالسون فيه يؤدون الصلاة في جماعة، ويستمعون إلى الوعظ والإرشاد، بصدر منشرح، وبرغبة صادقة في الإستفادة.

فالمسجد مصدر من مصادر الإشعاع والهداية والوعي في المجتمع المسلم، فهويتعاون مع الأسرة والمدرسة في إعداد أجيال صالحة عقديا وأخلاقيا وعمليا، ولا أدلَ على أهمية المسجد في المجتمع الإسلامي من أن الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ بالمسجد بعد إستقراره في المدينة المنورة، فكان المسجد هوالمكان الذي يلتقي المسلمون فيه خمس مرات في اليوم والليلة لعبادة ربهم وتدبير شئونهم وتعلم أمور دينهم.

لذلك، ينبغي أن تعود للمسجد في العصر الحديث مكانته التي كانت له في عصر سلفنا الصالح، فالمتربصون بهذه الأمة تنبهوا لأهمية المسجد في حياة المسلمين فحاولوا عن طريق الغزوالفكري، أن يقنعوا أبناء المسلمين بأن المسجد مكان للصلاة فقط، وأن التردد عليه نوع من الرجعية والتخلف، وهذه دعوة ضالّة ومضلّلة، ينبغي كشف عوراتها، وأن يعاد للمسجد رسالته الأولى حتى ينهض بوظائفه الحضارية والراقية، لمواكبة التحديات الكبرى التي تفرضها عالمية هذا العصر.

د- الثقافة والإعلام: إن أجهزة الثقافة والإعلام في العصر الحديث، هيَ من أهم وسائل الوعي والتوجيه التي يتأثر بها المجتمع أفرادا وجماعات، ولها تأثير مباشر في كل بيت، فاتصال

الإنسان بأجهزة الثقافة والإعلام يزداد يوما بعد يوم، لأننا نعيش الآن في عصر وسائل الإعلام المختلفة والمتطورة، فالإنسان يستقي دائما منها فيتأثر بها أيما تأثر.

لهذا ينبغي الإهتمام بأجهزة الثقافة والإعلام والإتصال، واتخاذها وسيلة من وسائل التربية والوعي الصحيح، في العصر الحاضر لتصبر مع المنزل والمدرسة والمسجد في خدمة المجتمع العربي والإسلامي، فيتعاون الجميع على هداية الناس إلى طريق الخير والرشاد؛ ذلك أن هذه الأجهزة إذا لم توجه الوجهة الصحيحة، فإنها تشوه أفكار المسلمين، وتلوث معلوماتهم، وتضللهم، فينحرفون عن الجادة، لأن واقع العالم الإسلامي في العصر الحديث، يستلزم أن تكون هذه الأجهزة أدوات بناء، لا معاول هدم للأخلاق والقيم، فمازال في بلادنا الإسلامية كثير من المسلمين غير قادرين على التحليل والنقد والفرز والإنتقاء، مما يجعل التأثير عليهم سهلا ميسورا.

هذا، وهناك وسيلة إعلامية هامة لازالت سائدة في بلادنا، ألا وهي الجلسات والمنتديات والملتقيات المحلية والوطنية والدولية، ومن خلالها يكتسب كثير من المسلمين معلوماتهم وأفكارهم، وعن طريق تنظيم لمثل هذه المناقشات والحوارات والتفاعلات، يمكن تطعيم كثير من المستمعين والجالسين بأفكار حية، ومقاومة الغزوالفكري بجميع أشكاله ومحاربة البدع المنتشرة والآفات المتفشية[21].

هـ- أجهزة التشريع: إن أجهزة التشريع في أي بلد، هي التي تضع النظم، وتسن القوانين التي تنظم حياة المجتمع في جميع ميادينها السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، وعليه ينبغي أن توجه هذه الأجهزة توجيها صحيحا، وذلك بإحياء تشريعات الإسلام وأحكامه وقوانينه، وبعثها في حياة المسلمين حتى يصبح الإسلام في هذه الحياة عقيدة وشريعة، وتصبح الأمة المنتمية إليه محصّنة به، وذلك في مواجهة تحديات نظام العولمة وانعكاساته على شخصية واوقع وطننا ذي الهوية المتميزة.

مع العلم، أن النظام التربوي لا يمكن تجزئته أوالفصل بين مستوياته المختلفة، ولكنه مفهوم متكامل على مستوى الفرد والمجتمع، وما ينبثق عنهما من نظم إجتماعية وإقتصادية وسياسية وثقافية، لا ينفك أحدهما عن الأخر.

وفي هذا المستوى للتربية الإجتماعية، تتجلى حقيقة الوعي الذي يحكم العلاقات والروابط بين الأفراد بعضهم ببعض، وبين الجماعات المختلفة التي يتكون منها المجتمع الكبير؛

قال الله تعلى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم". الحجرات-13

بيّن الله تعالى أن الغاية من جعلهم شعوبا وقبائل ليست التناحر والخصام، إنما هي للتعارف والوئام والوفاء والتعاون، للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات، وليس للّون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله تعالى، إنما هناك ميزان واحد تتحدد به القيم وتعرف به فضائل الناس، قال الله تعالى: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"، الحجرات- 13.

وهكذا، فبضل هذه الرابطة المقدسة التي تشد الأمة الإسلامية بعضها ببعض، يصبح المسلمون كافة كعشيرة واحدة، فترتبط الشعوب برباط الأخوة الإسلامية كما يرتبط أفراد العشيرة الواحدة بعضهم بعضا، معنويا وإذا اقتضى الأمر فماديا.

فالوحدة الإسلامية قضية جليلة تهم جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، كل حسب درجته لأنها تنبعث من الأخوة الإيمانية التي تربط المسلمين جميعا لقوله تعالى: "إنما المؤمنون إخوة". 51، بدءا من الرابطة والتعاون والتآزر بين المسلمين فيما بينهم، وانتهاءا بالعالم الإسلامي كله، بدءا من الفرد فالقبيلة فالشعب وانتهاءا بالأمة.

قال الله تعالى: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان". المائدة - 2، وقوله عز وجل: "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون". الأنبياء- 92، وفي رواية مسلم بسنده عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له الجسد بالحمى والسهر"[22].

وعلى هذا الأساس فبإمكان للنظام التربوي الإسلامي أن يُقدِّم في المستويين، الفردي والجماعي، مجموعة من القيم والمفاهيم وقواعد السلوك التي تنظم وتحكم هذه العلاقات، في إطار واحد هوإطار الوحدة الإسلامية لهذه الأمة.

وهذه أهم فوائد التربية، وهي حقيقة لا يمكن إنكارها أوتجاهلها، والدليل عليه واضح، يكمن في عقد مقارنة بين من رزق نعمة التربية وبين من حرمها، فإن النتيجة معلومة سلفا من جميع النواحي الصحية، والنفسية، والفكرية، والإجتماعية والإقتصادية، كما يدل عليها أيضا واقع المسلمين في القرون الأخيرة وخاصة هذا القرن الذي وصل فيه المجتمع الإسلامي إلى الدرك الأسفل من التأخر والضعف والإنحطاط، وما ذلك إلا بسبب التخلي عن منهج الله تعالى وتربية

الناس عليه، واستبداله بمناهج ووسائل وأساليب تربوية مستوردة لا فائدة ترجى من ورائها لهذا المجتمع، قال الله تعالى: "أتستبدلون الذي هوأدنى بالذي هوخير".البقرة– 61، ولا أظن أن هناك عقوبة دنيوية أكثر إيلاما وتعذيبا مما يعانيه اليوم المواطن العربي.

والمفتاح الذي إن استعمله المسلون اليوم، وهوموجود عندهم، لدخلوا من حيث دخل أسلافهم، ونشروا ماضيهم الحضاري من جديد، ولا يمكن أن يحدث هذا إلا في ظل وعي صحيح يرمي إلى نظام تربوي صحيح، يستمد أصوله وأسسه وقواعده من الدين الحنيف الذي به تميزت أمتنا عن باقي الأمم، وهومصدر أساسي تستمد منه قوتها، قال الله تعالى: "إن الدين عند الله الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهوفي الأخرة من الخاسرين".آل عمران– 85.

الخاتمة: إن العولمة بكل أبعادها، ما هي في الحقيقة إلا واقع يريد أن يفرض نفسه على الجميع، لأن وجوده اقترن بتحقيق مصالح الأقوياء التي تريد إخضاع الشعوب إقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا، لتسييره بطريقتها ومن خلال قناعاتها، وفي الإتجاه الذي يخدم مصالحها.

فالعالم العربي والإسلامي عليه أن يدخل هذا الصراع بكل ما أوتي من قوة مادية ومعنوية، ليحافظ على تواجده واستقراره، مجسدا بذلك استمرارية حضارته بكل أبعادها، فالأمة العربية والإسلامية هي أمة واحدة، ولها رسالة عالمية.

وبالإضافة إلى هذا الدين الحنيف هناك عناصر أخرى أساسية تمتاز بها هذه الأمة: كالموقع الجغرافي والطاقة البشرية والثروات الطبيعية والرصيد التاريخي، بحيث إذا وظفت ميدانيا وبصفة إيجابية، في ظل نظام تربوي صحيح، نستطيع القول أن الأمة الإسلامية في وضعية تسمح لها بإذن الله تعالى باستيعاب العولمة، وتسخيرها في الاتجاه الذي يخدم مصالحها المشروعة، ويحقق أهدافها ضمن أبعاد رسالتها الحضارية.

الهوامش:

1- مختار الصحاح، 231/1.

2- لسان العرب، 336/1.

3- أخرجه مسلم، باب: في فضل الحب، ح: 2566.

4- تفسير القرطبي، 112/5.

5- د.علي سعود عطية، نظرات في ضعف المسلمين وبوادر نهضتهم، ص: 6.

6- الإتجاهات الحديثة في مفهوم التربية، د.عمر التومي الشيباني، ص:263، وما بعدها بتصرف.

7-د.مهنا محمد غنايم، أسس بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، ص: 352.

8-د.إسحاق فرحان، التربية بين الأصالة والمعاصرة، ص:12، دار الفرقان، عمان 1991.

9- د.إسحاق فرحان، المرجع نفسه.

10- د.إسحاق فرحان، المرجع نفسه.

11-د.إسحاق فرحان، المرجع نفسه.

12- مقدمة في الفلسفة، د.تومي الشيباني، ص: 109.

13- أخرجه البخاري، الجنائز، 1270، ومسلم، القدر، 4803.

14- أخرجه البخاري، ح: 73، 39/1؛ ومسلم، ح: 816، 558/1.

15- أخرجه أبوداود 3641، 317/3، والترمذي 2648، 28/1 ؛ وابن ماجه 223، 81/1.

16- تفسير القرطبي، 122/4.

17- أخرجه أحمد في مسنده، ح: 8777، 366/2.

18- مختصر تفسير ابن كثير، 289/3.

19- حسان محمد حسان، وسائل مقاومة الغزوالفكري، ص: 156.

20- سبق تخريجه ص:7.

21- حسان محمد حسان، الرجع السابق، ص: 172.

22- أخرجه البخاري، الأدب، ح: 5552؛ ومسلم، البر، ح: 4685.